﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غافر: 79 - 81]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الرَّبط بين دلالة آيات اللهِ على وحدانيَّته، وكون منكرها متكبرًّا لدودًا

لمّا كان المبطِلونَ ليسوا أشدَّ نفرةً، ولا أقْوَى من بعضِ الحيواناتِ العُجْم؛ دلَّ على ما أخبرَ به من نافذِ نُصرتِه فيهم، مُذكِّرًا لهم بنعمته، مُستعطِفًا إلى طاعته، دالًّا على التَّوحيدِ بعد تَلْيينِهم بالوعيدِ، مُظهرًا الاسمَ الجامعَ؛ إشارةً إلى أنَّ في هذه الآيةِ من الدَّلالات ما لا يُحصَى، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الآيات، فكيف مع ما يروْنَه من آياتِ اللهِ الظّاهرة وعظيمِ قدرتِه الباهرةِ، ينكرونَ وحدانيَّتَه وجلالَ خلْقِه وكمالَ فضلِه وإحسانِه[1]؟ وهو يسائلهم قائلًا: "أخبروني أيَّ دليل منها تنكرون، وهي مِن الوضوح بحيثُ لا ينكرها مَن له أدنى عقل؟"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾: (نعم) فروعُه كثيرة، وهي على كَثْرتِها راجعةٌ إلى أصلٍ واحد، يدلُّ على ترَفُّهٍ وطيْبِ عَيشٍ وصلاح، ومن هذه الفروعِ النَّعَمُ: وهي الإبِلُ؛ لما فيها من الخيرِ والنِّعمة، والنَّعَمُ ذَكَرٌ لا يُؤنَّث، فيقولون: هذا نَعَمٌ واردٌ، وتُجمَعُ أنعامًا، والأنعامُ: البهائمُ، وهو على ذلك القياس، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ [النَّحل: 66]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: 142][3]، وقولُه تعالى:

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 704.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (نعم).

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾، أي: الإبِلَ خاصَّة[1]، ويجوز أن يُراد: الإبلُ والبقرُ والغنمُ والخيل، وغيرُ ذلك من البهائمِ الَّتي يقتنيها أهلُ الإسلام لمركَبٍ أو لِمَطْعَم[2].

2) ﴿مَنَٰفِعُ﴾: (نفع) كلمةٌ تدلُّ على خِلافِ الضُّرِّ، ونَفَعَهُ يَنْفَعُهُ نَفعًا ومَنفعةً، وانتفعَ بكذا[3]، والنَّفعُ: ما يُستعانُ به في الوصولِ إلى الخيرات، وما يُتوصَّلُ به إلى الخيرِ، فهو خير، فالنَّفعُ خيرٌ، وضِدُّه الضَّرُّ، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: 188][4]، ونَفعه نفعًا أفادَهُ، وأوصل إلَيْهِ خيرًا، فَهوَ نافِع ونفّاع، و(انتفع) بِهِ: حصل مِنهُ على مَنفَعَة، و(استنفع) فلانًا: طلب نَفْعَه، و(المَنفَعَة): كلُّ ما ينتَفع بِهِ، وجمعها مَنافِع[5]، وقولُه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾، أي: منافعُ أُخرى غير الرُّكوبِ والأكل، كألبانِها وأوبارِها وجلودِها وأصوافِها وأشعارِها، وغير ذلك[6].

3) ﴿حَاجَةً﴾: حاجَ يَحوجُ: احتاجَ، والحاجةُ إلى الشَّيء: الفقرُ إليه مع محبَّتِه، قال تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يوسف: 68]، وحاجَ الرَّجلُ: احتاج، وأحوجَهُ غيرُه، وأحوجَ بمعنَى احتاج، والحَوجاءُ: الحاجة[7]، وقولُه تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً﴾، أي: حاجةً في صدوركم، لم تكونوا بالغيها لولا هي، إلّا بشقِّ أنفُسِكم[8]، وذلك بحملِ أثقالِكم من بلَدٍ إلى بلد[9].

4) ﴿ٱلْفُلْكِ﴾: (فلك) أصلٌ صحيحٌ، يدُلُّ على استدارةٍ في شيء، من ذلك: فَلْكَةُ المِغْزَلِ بفتحِ الفاء، سُمِّيَتْ لاستدارتِها، ومن هذا القياسِ فَلَكُ السَّماء، وهو مجرَى الكواكب، قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: 40]. والفُلْكُ: السَّفينة، يُستعمَلُ ذلك للواحدِ والجمع، ولعلَّها تُسمَّى فُلْكًا؛ لأنَّها تدارُ في الماء، قال تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى

(1) النَّحّاس، معاني القرآن: 4/ 32، والزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 438.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 420، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 79.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نفع).
(4) الرّاغب، المفردات: (نفع).
(5) مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط: (نفع).
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 29، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 659.
(7) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس: (حاج).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 420.
(9) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 29.

﴿ٱلۡبَحۡرِ﴾ [البقرة: 164]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾[1]، وقيل: الفَلَك جمعه أفلاك، وذُكِر الفُلْك بِضَم الفاء وسُكون اللّام، وهي السَّفينَة، وقيل: هوَ جمع واحِدها فَلَك، وقيل: لَفظه في الواحِد والجمع فَلَك[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

امتنَّ اللّهُ على عبادِه بأنواعِ الأنعام الَّتي لا تُحصَى، ومنها: الإبِلُ والبقرُ والغَنمُ، الَّتي منها رَكوبُهم، ومنها يأكلون، فالإبِلُ تُركبُ، وتُؤكَلُ، وتُحلَبُ، ويُحمَلُ عليها الأثقالُ، ويكون عليها الارتحال، والبقرُ والغَنمُ تؤكَلُ، ويُشرَبُ لبنُها، والجميعُ تُجَزُّ أصوافُها وأشعارُها وأوبارُها، فيُتَّخَذُ منها الأثاثُ والثّيابُ والأمتعةُ، وعلى السُّفُنِ في البحر تُحملونَ، وتنتقلون من مكانٍ إلى آخر، وهذه الآياتُ كلُّها وغيرُها يريكُم ربُّكم إيّاها في الآفاقِ وفي أنفُسِكم، باعتبارها دلالات جليَّة على كمالِ قدرتِه ووحدانيَّته، فإنَّها كلَّها من الظُّهورِ والجلاء، بحيثُ لا تقدِرونَ على إنكارِ شيءٍ منها، إلّا أن تُعانِدوا، وتُكابِروا[3].

امتنانُ اللهِ على عبادِه بآياتٍ دالَّةٍ على وحدانيَّتِه وقدرتِه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآيتَينِ عن سابقتيهما:

جاء فصلُ الآيتَين عن سابقتيهما انتقالًا من الامتنانِ على النّاس، بما سخَّرَ لأجلِهم من نظامِ العوالمِ العُليا والسُّفلَى، وبما منحَهم من الإيجادِ، وما في ذلك من الألطافِ بهم، وما أدمَجَ فيه من الاستدلالِ على انفرادِه تعالى بالتَّصرُّفِ - فكيف ينصرفُ عن عبادتِه الَّذين أشركوا به آلهةً أُخرى؟ - إلى الامتنان بما سخَّرَ لهم

الانتقالُ من امتنانٍ إلى امتنان، مفيدٌ في الإفصاح والبيان

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (فلك).
(2) القاضي عياض، مشارق الأنوار: (فلك).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 79، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 659.

من الإبلِ لمنافعِهمُ الجَمَّةِ خاصَّةً وعامَّة، فالجملةُ استئنافٌ بهذا الانتقالِ من امتنانٍ إلى امتنان[1].

دلالة الموصول وصلته ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾:

الإخبارُ بعظيمِ نِعَمِهِ ومِنَنِه، هي منتهى الدَّلالة على عظمته

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ خبرٌ للمبتدأ، وهو اسمُ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾[2]؛ تعبيرًا عن عظَمةِ اللهِ في جليلِ خَلْقِه وعظيمِ نِعمهِ على عبادِه، عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالاسمِ الموصولِ وصلتِه، في قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ هذه الآية، بما صُدِّرتْ به من اسمِهِ الجليلِ، المُظْهَرُ فيها من الدَّلالاتِ على وحدانيَّتِه تعالى، بما خلقَه من النِّعمِ العظيمة، ومنها نعمةُ الأنعام، وما فيها من أنواع المِنَنِ الرَّبّانيَّة، بتذليلِ الأنعامِ وتسخيرِها، بالرُّكوبِ ونقلِ الأثقال، والاستفادةِ من ألبانِها ولحومِها وأصوافِها وأشعارِها، إلى غيرِ ذلك ممّا يدلُّ على عظَمةِ اللهِ في خَلْقِه، لما يحقِّقُ مصالحَ العبادِ في ملكه[3].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿جَعَلَ﴾ دون (خَلَقَ):

تهييءُ الأنعامِ للعبادِ، لتحقيقِ مصالِحهم، وتحفيزِ توحيدِهم خالقهم

الجَعْلُ: الوضعُ والتَّمكينُ والتَّهيئة، فيُحمَلُ في كلِّ مقامٍ على ما يناسبُه، وهنا مقامُ الامتنانِ على العبادِ، بأن هيَّأ لهم هذه الأنعامَ بأنواعِها؛ ليركَبوا منها، ومنها يأكُلونَ، ولينقُلوا أثقالَهم عليها من بَلَدٍ إلى بَلَد، وذلك لتقريبِ نفوسِهم من التَّوحيد؛ لأنَّ شأنَ أهلِ المروءةِ الاستحياءُ من المُنعِم[4].

دلالة (اللّام) في قوله تعالى: ﴿لَكُمُ﴾:

خلقُ اللهِ الأنعامَ للبشر، مسخَّرة للنَّفع لا للضَّرر

اللّامُ في قوله: ﴿لَكُمُ﴾ لامُ التَّعليل، أي: خلقها لأجْلِكم ومصلحتِكم[5]، "مسخَّرة لِتَرْكَبوا مِنها، ومِنها تَأْكُلونَ، ولَكُم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 214.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 523.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 214.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 29.

فيها مَنافِعُ من الجلود والأوبار والأصواف، ولِتَبلُغوا عَلَيها حاجَةً في صُدورِكُم"[1].

نُكْتَةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ على المفعول:

تقدَّم الجارُّ والمجرورُ في قوله تعالى: ﴿لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾؛ لإفادةِ الامتنانِ على العبادِ بهذه الخصوصيَّة، فهو امتنانٌ مُجمَلٌ يشملُ بالتَّأمُّلِ كلَّ ما في الإبلِ لهم من منافع، وهم يعلمونَها؛ إذا تذكَّروها، وعدّوها[2].

الامتنانُ على العبادِ بخَلْقِ الأنعام، تذكيرٌ بعطائه الممدود على الدَّوام

معنى (أل) في لفظ ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾:

(أل) في قولِه تعالى: ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ لتعريف ماهيَّة الجنس[3]، وقيل: إنَّها للعهد، أي: الأزواجِ الثَّمانيةِ المعهودةِ بالتَّذليلِ والتَّسخير[4]، قال ابن عاشور: "والأنعام: الإبل والغنم والمَعِز والبقر، والمراد هنا: الإبل خاصَّة، لقوله: ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً﴾، وقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، وكانت الإبل غالبَ مكاسبهم"[5].

الأنعامُ المعهودةُ البادِيَةُ، مسخَّرة لأهل الحاضرة والبادِيَة

فائدةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارع ﴿لِتَرْكَبُواْ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المضارع ﴿لِتَرْكَبُواْ﴾ دلالةً على تجدُّدِ هذه المنفعةِ واستمرارِها؛ لأهمّيَّتها لهم وعدمِ استغنائهم عنها؛ إذ يستعملونها للسَّفر من صِقع إلى صقع، ومن قطرٍ إلى آخر، وهي لما لها من خُفٍّ مُفَرْطح أنسبُ حيوانٍ للسَّير في رمال الصَّحراء، ومِن ثَمَّ قالوا: (الجمل سفينة الصَّحراء)، وقد كانت من أهمِّ سبل المواصلات في الأزمنة الغابرة في البَرِّ، كما كانت السُّفنُ كذلك في البحر[6].

ديمومةُ استخدامِ الأنعامِ للرُّكوب، تقليدٌ لدى كلِّ الشُّعوب

دلالةُ (مِن) في شبه الجملة: ﴿مِنْهَا﴾:

(مِن) في قوله تعالى: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾ للتَّبعيض، تتعلَّق بصفة

بعضُ الأنعامِ لا تُركَب، والرُّكوبُ للإبلِ خاصَّة

(1) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 8/ 321.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 214.
(3) قباوة، المفصل، ص: 1683.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 214.
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 24/ 98.

محذوفة للمفعول المقدَّر، أي: شيئًا كائنًا منها[1]؛ إذْ ليس كلُّ الأنعام تُركَب[2]، ويجوزُ أنْ تكونَ لابتداءِ الغايةِ، أي: ابتداءُ الرُّكوبِ والأكلِ مِنْها، أي: تعلُّقهما بِها[3]؛ إذِ المرادُ بالأنعامِ شيءٌ خاصٌّ، وهي الإبل؛ لأنَّه لم يُعهَدْ للرُّكوبِ غيرُها[4].

دلالة (الواو) في قوله: ﴿وَمِنْهَا﴾:

بيانُ الحال في كونهم يأكلون من الأنعام

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ حاليَّة، أي: والحالُ أنَّكم من بعضِها تأكلون، أو عطفٌ على المعنى من جملة: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾؛ لأنَّها في قوَّةِ أن يُقال: تركبون منها، على وجهِ الاستئنافِ؛ لبيانِ الإجمالِ الَّذي في جملة: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾، وهي على الاعتبارَينِ في حيِّزِ ما دخلت عليه لامُ (كي)، فمعناها: ولتأكلوا منها[5].

دلالة الحرف (مِنْ) في ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾:

بيانُ أنَّ بعض الأنعامِ تُؤكل، وبعضها لا تُؤكَلُ

(مِن) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ لابتداء الغاية المكانيَّة، وتتعلَّق بـ(تأكل)[6]، ويمكن أن تكون للتَّبعيض[7]؛ إذ ليس كلُّها يُؤكَلُ على التَّوسُّعِ في أنواعِ الأنعام، كالخيلِ والبغالِ والحمير، ويجوزُ أن تكونَ لبيانِ الجنْس؛ لأنَّ الخيلَ منها، ولا تُؤكَلُ[8].

نكتةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ (مِنْها):

حصْرُ الاقتياتِ في الأنعام تذكيرٌ بمظاهر الإنعام

في قولِه تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، معنَى حصرِ الاقتياتِ من الأنعام - لمّا كان الاقتياتُ منها في عظيمِ نَفْعِه وكثرتِه وشهوتِه بحيثُ لا يناسبُه غيرُه - عُدَّ الغيرِ عدَمًا، فقال: (مِنْها)، أي: من الأنعامِ كُلِّها تأكلون[9].

(1) قباوة، المفصل، ص: 1684.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 4/ 571، والسَّمين، الدُّرُّ المصون: 9/ 500، 501.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 286.
(4) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 9/ 501.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 215.
(6) قباوة، المفصل، ص: 1684.
(7) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(8) السَّمين، الدُّرّ المصون: 9/ 501.
(9) النَّحّاس، معاني القرآن: 4/ 32، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 4/ 571.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿تَأۡكُلُونَ﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المضارعِ ﴿تَأۡكُلُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الأكلَ من الأنعامِ متجدِّدٌ مستمرٌّ، وللتَّنبيه على امتيازِه عنِ الرُّكوبِ في كونِه من ضروريّاتِ الإنسانِ، وفيه قِوامُ حياته[1].

نُكْتَةُ تقديمِ الرُّكوبِ على الأكل:

ركـوبُ الأنعـام أهـمُّ منافعِها، وأظهرُها في واقع الاستعمال

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ الرُّكوبَ على الأكلِ في قوله تعالى: ﴿لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ الرُّكوبَ ببلوغِ الأماكن الشّاسعةِ هو المقصودُ منها بالذّات، وهو الَّذي اقتضَى تركيبَها على ما هي عليه، فنشأتْ منه منفعةُ الأكل، وتبعَتْها أخواتُها من المنافع[2].

بلاغة الإدماجِ في الآية الكريمة:

امتنانٌ مُجمَلٌ شاملٌ رائع؛ لما في الأنعامِ من منافع

في الآيةِ الكريمة كما لا يخفَى امتنانٌ جليلٌ من اللّهِ تعالى على عبادِه، لتقريبِ نفوسِهم من التَّوحيد؛ لأنَّ شأنَ أهلِ المروءةِ الاستحياءُ من المنعِم ﷻ، وقد أُدمِجَ في الامتنان استدلالٌ على دقيقِ الصُّنعِ، وبليغِ الحكمة، كما دلَّ عليه قولُه من بعدُ: ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾، أي: في ذلك كلِّه، فقولُه: ﴿لَكُمۡ﴾، أي: لأجلِكم، وهو امتنانٌ مُجمَلٌ يشمَلُ بالتَّأمُّلِ كلَّ ما في الإبلِ من منافع لهم، وهم يعلمونها؛ إذا تذكَّروها، وعَدّوها، ثمَّ فصَّلَ ذلك الإجمالَ بعضَ التَّفصيلِ، بذِكرِ المُهمِّ من النِّعم الَّتي في الإبل بقوله: ﴿لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا﴾، إلى قوله: ﴿تُحۡمَلُونَ﴾، فجاء بذكرِ الرُّكوبِ لراحةِ الأبدان، ثمَّ الأكل، فقالَ في موضعِ الحالِ من الأنعام: ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ على وجهِ الاستئنافِ؛ لبيانِ الإجمالِ الَّذي في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾، فكلُّ مَنفعةٍ نَشأتْ من سابقتِها، وتبعَها أخواتُها من المنافع، ولكلٍّ من الرُّكوبِ والأكلِ اختصاصٌ من سائرِ المنافع، مع كونها تحقِّقُ الحِكَمَ الرَّبّانيَّة الجليلةَ من خَلْقِ الأنعام[3].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 342.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 342، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 215.

دلالة (الواو) في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾:

المنافعُ المجعولةُ في الأنعامِ لتحقيقِ مصالحِ العباد

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾، عَطفتْ جملتَها على جملةِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، وهي بمعنَى التَّعليل، كأنَّه قيل: ولِتَجتَنوا منافعَها المجعولةَ لكم[1]، والمعنى: "﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أُخَرُ غير الرُّكوب والأكل، من الوبر والصّوف والشَّعر، والزَّبد والسَّمن والجبن، والدَّرِّ والنَّسل، وغيرِ ذلك"[2].

دلالة حرف اللّام في قوله: ﴿وَلَكُمْ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ﴾ للاختصاص[3]، أي: خلقَ لكم الأنعامَ؛ لِتَجْتَنوا منافعَها المملوكةَ المجعولةَ لكم، لتحقيقِ مصالحِكمُ المعتبرةِ فيها[4].

نُكْتَةُ تغييرِ أسلوبِ التَّعليلِ في قوله: ﴿وَلَكُمْ﴾:

غيَّر النَّظمُ الكريمُ أسلوبَ التَّعليل في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ عمّا قبلَه، تفنُّنًا في الكلام، وتنشيطًا للسّامعِ؛ لئلّا يتكرَّرَ حرفُ التَّعليلِ تكراراتٍ كثيرة[5].

نُكْتَةُ تقديمِ شِبهِ الجملةِ ﴿وَلَكُمْ﴾، وموقعُها النَّحويُّ:

إجمالُ المنافعِ في الأنعامِ، وأهمّيَّتُها للأنام

لَمّا كان التَّصرُّفُ في الأنعامِ غيرَ منضبطٍ، أجْملَه السّياقُ القرآنيُّ بقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾، أي: كلِّها، مُقدِّمًا لشِبهِ الجملةِ على ما حقُّه أن يتقدَّم عليها، في قوله: ﴿مَنَافِعُ﴾، وفي ذلك تنبيهٌ على ما خصَّ اللّهُ به الأنعامَ الَّتي خلقَها من منافعَ كثيرةٍ عميمةٍ للعباد[6]، وقوله: ﴿وَلَكُمْ﴾ جارٌّ ومجرورٌ، متعلِّقان بخبرٍ مقدَّمٍ للمبتدأ ﴿مَنَافِعُ﴾، أي: لكم منافعُ قائمةٌ أو موجودةٌ فيها[7].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 215.
(2) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان: 12/ 217.
(3) قباوة، المفصل، ص: 1684.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 215.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 215.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(7) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 523.

دلالةُ الظَّرفيَّةِ في شبه الجملة ﴿فِيهَا﴾:

المبالغةُ في وجودِ المنافعِ وكثرتِها، مبينة عن المراد

أفادتِ الظَّرفيَّةُ ﴿فِيهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ المبالغةَ في تحقُّقِ وجودِ هذه المنافع في الأنعام، وأنَّها كثيرةٌ بغيرِ ما تقدَّم ذِكْرُه من الرُّكوبِ والأكلِ، وذلك في الدَّرِّ والوَبَرِ والصّوف، وما يُصنَعُ منها من أثاثٍ وغيره[1]، ولمّا كانتِ المنافعُ ليست منحصرةً في أجزاءِ الأنعام، جيء بمتعلَّقِها بحرف (في)، دونَ (من)؛ لأنَّ (في) للظَّرفيَّةِ المجازيَّة بقرينةِ السّياق، فتشملُ كلَّ ما يُعَدُّ كالشَّيء المَحوي في الأنعام[2]، وقولُه: ﴿فِيهَا﴾ جارٌّ ومجرورٌ متعلِّقان بخبرٍ مقدَّمٍ محذوف[3].

نُكْتَةُ التَّقديمِ بين أشباهِ الجُمَل:

أهمّيَّة التَّدرُّجِ من الخاصِّ إلى العامِّ، بما تقتضيه حاجةُ العِباد

جاء قولُه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾، مع تصديرِه بشِبْهِ الجملة ﴿وَلَكُمْ﴾؛ لبيانِ أنَّ المنافعَ في هذه الآيةِ أُريدَ بها ما قابلَ منافعَ تقدَّمَتْها، صُدِّرتْ جُمَلُها بأشباهِ الجُمَلِ، من قوله تعالى: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾، وقولِه: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، فالمنافعُ شاملةٌ للرُّكوب، وشاملةٌ للأكل، ثمَّ منافعُ أوبارِها وألبانِها وأثمانِها وأعواضِها في الدّيّاتِ والمُهور، وجلودِها باتِّخاذها قِبابًا وغيرها، وبالجلوسِ عليها والانتفاعِ بجمالِ مرآها في العيون، في المسْرَحِ والمَراح، فجاءتِ المنافعُ شاملةً لما تقدَّمها بأشباهِ الجُمَل تعميمًا بعد تخصيص، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: 18]، بعد قوله: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 18]، فذَكر النَّظمُ الكريمُ هنا الشّائعَ المطروقَ عندهم، ثمَّ ذكر مثيلَه في الشُّيوع، وهو الرُّكوب، ثمَّ الأكلَ منها، ثمَّ عاد إلى عموم المنافع، ثمَّ خصَّ من المنافعِ الأسفارَ، فإنَّ اشتداد الحاجةِ إلى الأنعامِ فيها تجعلُ الانتفاعَ بركوبِها للسَّفَر في محلِّ الاهتمام، فعاد

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 216.
(3) دعّاس، إعراب القرآن: 3/ 166.

إلى ما ذكرَه أوَّلًا، وهو الرُّكوب، فكان في هذا التَّرتيبِ بين أشباهِ الجُملِ سابقًا ولاحقًا تدرُّجٌ من الخاصِّ إلى العامِّ، حسبَ ما تقتضيه اشتدادُ حاجةِ العباد، مع جامعِ الاهتمامِ في كلٍّ واحدةٍ منها[1].

نُكْتَةُ تنكير لفظ ﴿مَنَٰفِعُ﴾:

بيانُ كثرةِ منافعِ الأنعامِ وتنوُّعِها، مفصحٌ عن المراد

جاء قولُه تعالى: ﴿مَنَٰفِعُ﴾ نكرةً؛ للإشارةِ إلى كثرةِ هذه المنافعِ، بغيرِ ما وردَ في الآية، فهي متعدِّدةٌ متنوِّعة، في الرُّكوبِ والأكلِ، ومنافعِ الألبانِ والأوبارِ، والأثمانِ والجُلودِ واستعمالاتِها، وجمالِ مرآها في المسْرَح والمَراح[2].

سِرُّ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّة بعد الجُملِ الفعليَّة:

منافعُ الأنعامِ ثابتةٌ، لا تتعطَّل قوانينُ تسخيرها

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالجملةِ الاسميَّة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾؛ إشارةً إلى ثباتِ هذه المنافعِ وإجمالِها وعدمِ تخلُّفِها[3]، وهي في ثبوتها متعدِّدة، منها: منافع الرُّكوب عليها، والحمل، ومنها: منافع الأكل من لحومها، والشُّرب من ألبانها، ومنها: منافع الدِّفء، واتِّخاذ الآلات والأمتعة من أصوافها وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع"[4].

معنى الواو في قوله: ﴿وَلِتَبْلُغُواْ﴾:

بيانُ عظيمِ منفعةِ بلوغِ حاجةِ العبادِ بالأنعام

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُواْ﴾ عاطفةٌ على ما تقدَّمها من المنافع، وفيها بيانُ عظيمِ تلك المنفعة، فبُلوغُ الأماكنِ الشّاسعةِ عليها في أقربِ مدَّةٍ لنيلِ الأمورِ الهائلةِ عظيمُ الجَدْوى جدًّا، فجاءَ التَّفصيلُ بعد إجمالِ المنافع لأهمّيَّتِه في تحقيقِ الغرض[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 215، 216.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 29، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.
(4) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 743.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 123.

دلالةُ حرف اللّام في قوله: ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ﴾ لامُ كي للتَّعليل، أي: كي تبلغوا الحاجةَ في مكانٍ بعيدٍ يطلبُها صاحبُها، وفيها بيانُ الغَرَضِ والقَصْدِ لتحقيقِ الحاجةِ والمراد[1].

دلالةُ التَّعبير بالفعلِ المضارع (تَبْلُغوا):

استمرارُ حاجةِ العبادِ للأنعامِ في السَّفر وبلوغِ المرام

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالفعلِ المضارع (تَبْلُغوا) عن عظيمِ منفعةِ الأنعام لسدِّ حاجةِ العبادِ المستمرَّةِ في عدمِ استغنائهم عنها، في أسفارِهم من بلدٍ إلى بلد[2]، وبلوغُ الحاجة هنا يكون بالوصول إلى الأوطان البعيدة، وحصولِ السُّرور بها، والفرحِ عند أهلها[3].

نُكْتَةُ تعديَةِ فعلِ البلوغِ بحرفِ الاستعلاء:

المِنَّةُ بتذليلِ اللهِ للأنعامِ، وتسخيرِها لخدمةِ الأنام

عدَّى النَّظمُ الكريمُ فعلَ البلوغِ بحرفِ الاستعلاءِ (على)، في قولِه تعالى: ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ﴾؛ للإشارةِ إلى الاستعلاءِ عليها، أي: مُستعلين عليها، وهي في غايةِ الذُّلِّ والطَّواعيَة، ولولا تذليلُ اللهِ لها لخدمةِ الإنسان - مع قوَّتِها في غريزتِها الحيوانيَّة - لما قَدَرَ على تطويعِها؛ ليَرْكبَها، أو يبلغَ عليها حاجتَه في نقلِ الأثقالِ والأحمالِ من بلدٍ إلى بلد[4]، "وإنَّما قال: ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾، ولم يقل: (في الفلك) للمزاوجة وتغيير النَّظم في الأكل؛ لأنَّه في حيّز الضَّرورة؛ لأنّه يُقصد به التَّعيُّشُ وهو من الضّروريّات، والتَّلذُّذُ والرُّكوب والمسافرة عليها قد يكون لأغراض دينيَّة واجبة أو مندوبة، أو للفرق بين العين والمنفعة"[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 216.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 342.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 743.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 124.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 64.

نُكْتَةُ تقديم شِبْهِ الجملةِ ﴿عَلَيْهَا﴾:

تقدَّمَ الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيْهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً﴾؛ للاهتمامِ بالعبادِ بما يقضي حاجاتِهم، وإبلاغِهم تحقيقَ أغراضِهم ومقاصدِهم من هذه الأنعام[1].

سدُّ حاجاتِ العبادِ من الأنعامِ، نعمةٌ من ذي الجلال والإكرام

نُكْتَةُ تنكير لفظ ﴿حَاجَةً﴾ في السّياق:

أوردَ السّياقُ القرآنيُّ كلمةَ ﴿حَاجَةً﴾ نكرةً، في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً﴾؛ لإفادةِ جِنْسِ الحاجة، أي: أيَّ حاجةٍ من الحاجاتِ الدُّنيويَّة الَّتي فيها تحقيقُ مصلحةٍ لكم، وفي هذا التَّعبيرِ تنبيهُ العبادِ على نقصِهم وعظيمِ نعمةِ اللهِ ومِنَّتِه عليهم[2]، ولفظُ ﴿حَاجَةً﴾ مفعولٌ به للفعلِ (تَبْلُغوا)[3].

تعظيمُ قدرةِ اللهِ في إظهارِ ما يُضمَرُ في الصُّدور

فائدةُ الظَّرفيَّةِ في قوله: ﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾:

في إفادةِ قولِه تعالى: ﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾ الظَّرفيَّة، إشارةٌ إلى أنَّ حاجةً واحدةً ضاقتْ عنها قلوبُ الجميع، حتَّى فاضت منها، فملأت مساكنَها، وفي ذلك إظهارُ القُدرةِ الإلهيَّةِ في مقامِ التَّعظيمِ لنِعَمِ اللهِ ومِنَنِه، وواسعِ علمِه في إظهارِ جميعِ ما يُضمَرُ في قوله: ﴿صُدُورِكُمْ﴾[4].

المبالغةُ في أهمّيَّةِ المعنى المراد؛ لبيان المدلول المستفاد

بلاغةُ الكنايةِ عنِ القلوبِ بالصُّدور:

إطلاقُ الصُّدورِ على القلوبِ من بابِ الكنايةِ، في إطلاقِ الكلِّ وإرادةِ الجُزء، فإنَّ الصُّدورَ محلُّ القلوب، وهي أوسعُ منها، والقلوبُ جزءٌ منها؛ للمبالغةِ في أهمّيَّةِ المعنى المراد، وهو أمرٌ متعارَف، فلفظُ الصُّدورِ أُطلِقَ على العقولِ اتِّباعًا للمُتعارَفِ الشّائع، كما يُطلَقُ لفظُ القلوبِ على العقول[5].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 342.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 124.
(3) الدَّعّاس، إعراب القرآن: 3/ 166.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 124.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 216.

دلالة (الواو) في قوله: ﴿وَعَلَيۡهَا﴾:

المبالغةُ في معرضِ الإنعام والامتنان مُعينَةٌ على البيان

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ عطفَتْ جملتَها على ما قبلَها بجامعِ الاستعلاء في كلٍّ، وإذا كان الاستعلاءُ يقتضي أن يكونَ على أعلى شيء، فإنَّه يكونُ هنا في البَرِّ على ظهرِ الأنعامِ لحملِ الأمتعة، وحملِ الإنسانِ نفسه، كما تقدَّمَ في الرُّكوب؛ اشتراكًا بين السّابقِ واللّاحقِ، للمبالغةِ في مَعرِضِ المنَّةِ على العباد[1]، ويجوزُ أن تكونَ الواوُ اعتراضيَّة، أي: قولُه: ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ تمهيدٌ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾؛ تكريرًا للمِنَّة[2].

نُكْتَةُ تقديمِ ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ على فعلِ الحَمْلِ:

الاهتمامُ بمنفعةِ الأنعامِ في الحَمْلِ في كلِّ الأحوال

تقدَّمَ شِبْهُ الجملةِ ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ على فعلِ الحَمْلِ، في قوله تعالى: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾؛ للاهتمامِ في كونِ الأنعامِ مهيَّأةً للحَمْلِ في البَرِّ، وفيه كذلك توطئةٌ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾؛ ليجمعَ بين سفائنِ البَرِّ وسفائنِ البحر، فكأنَّه قيل: وعليها في البَرِّ، وعلى الفُلكِ في البحرِ تُحملون، فلا تكرار، ويمكنُ أن يكونَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ لمراعاةِ الفواصل، كتقديمه قبلُ، فيجتمعَ التَّوجيهان، يُقوّي أحدُهما الآخر[3].

نُكْتَةُ تقديمِ الحَمْلِ على الأنعامِ على الحَمْلِ على الفُلك:

مناسبةُ الحَمْلِ في كلٍّ من الفُلكِ والأنعام، دليلٌ على دقَّة السّياق

تقدَّمَ الحَمْلُ على الأنعام على الحَمْلِ على الفُلكِ، لمناسبةِ قوله تعالى: ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ﴾، فقال: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾، وهو انتقالٌ من الامتنانِ بجعلِ الأنعامِ، إلى الامتنانِ بنعمةِ الرُّكوبِ في الفُلكِ في البحارِ والأنهار[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 124.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 216.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 342.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 216.

نكتةُ عطفِ قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾:

الانتقالُ من مِنَّةِ الحَمْلِ على الأنعامِ، إلى مِنَّةِ الحَمْلِ على الفُلك

عطفَ النَّظمُ الكريمُ قولَه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا﴾، أي: وعلى الأنعام؛ لأنَّ السّياقَ في مَعرِضِ بيانِ بعضِ مِنَنِ اللهِ تعالى على عبادِه، وهو هنا انتقالٌ من الامتنانِ بجعلِ الأنعامِ مطيَّةً، إلى الامتنانِ بنعمةِ الرُّكوبِ على الفُلكِ في البحارِ والأنهار، فالمقصودُ هو قولُه: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[1].

معنَى (أل) في ﴿ٱلْفُلْكِ﴾:

بيانُ جِنْسِ الفُلكِ، أو أنَّه نوعٌ خاصٌّ منها

(أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ للجنس، أي: المَراكبِ الَّتي تَمْخُرُ ماءَ البحارِ على اختلافِ أحجامِها وأغراضِها، ويمكنُ أن تكونَ للعهدِ، بما يناسبُ السّياق، والمرادُ: المراكبُ المعهودةُ في نقلِ الرُّكّابِ وأمتعتِهم وأثقالِهم من بلدٍ إلى بلدٍ دونَ غيرِها، ممّا يختلفُ الغرضُ من استخدامِه.

نُكْتَةُ تعديَةِ الحَمْلِ في الفُلكِ بـ (على):

بيانُ كُنْهِ المُشاكَلةِ لما سبق، مع قصدِ الظّاهرِ المنطوق

عدَّى النظمُ الكريمُ الحَمْلَ في الفُلك بـ (على)، ولم يقل: (وفي الفُلك)، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [العنكبوت: 65]؛ للمُزاوجةِ والمُشاكلةِ مع ﴿وَعَلَيْهَا﴾، وإنَّما أُعيدَ حرفُ (على) في الفُلك؛ لأنَّها هي المقصودةُ بالذِّكر، وكان ذِكْرُ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ كالتَّوطئة لها، فجاءت على مثالِها[2].

دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿تُحْمَلُونَ﴾:

التَّسخيرُ لحملِ أمتعةِ العبادِ من البيانِ المستفاد

المرادُ بقوله تعالى: ﴿تُحْمَلُونَ﴾، أي: تَحْمِلُ لكم أمتعتَكم، فإنَّ حمْلَ الإنسان نفسه تقدَّم بالرُّكوب، وعبَّر النَّظم الكريم بصيغة ﴿تُحْمَلُونَ﴾ بالبناء للمفعول؛ للإشارة إلى أنَّه سخَّرَ ذلك تسخيرًا عظيمًا لا يحتاجُ معه إلى علاجٍ في نفسِ الحَمْل[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 216.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 217.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 124.

نُكْتَةُ إسنادِ الحملِ إلى النّاس في ﴿تُحْمَلُونَ﴾:

إسنادُ الحَمْلِ إلى العباد تغليبًا، ممّا يُفيد في استكناه المراد في السّياق

لمّا تقدَّمَ حمْلُ الأثقالِ على الإبلِ في قوله تعالى: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [النّحل: 7]، وجاء قولُه هنا: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾؛ دلَّ على أنَّ إسنادَ الحَمْلِ إلى ضميرِ النّاسِ في ﴿تُحْمَلُونَ﴾ من بابِ التَّغليب[1]، وفي النَّحل: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النّحل: 14]، ومُفادُه: وتَرَى السُّفنَ والمراكبَ تَمْخرُ في البحر العجاج الهائل بمُقَدَّمها، حتّى تسلكَ فيه من قُطْرٍ إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقَهم، وأمتعتَهم وتجاراتِهم الَّتي يطلبون بها الأرزاقَ، وفضلُ اللّه في رزقه النّازلِ بتقديره عليهم[2].

نُكْتَةُ التَّقديم والتَّأخيرِ بين منافعِ الأنعام:

بيانُ دلالة التَّعميم بعد التَّخصيص، وذِكْرُ الشّائعِ ومثيله

المنافعُ: جمعُ منفعة، وهي مَفْعَلَةٌ من النَّفع، وهي: الشَّيءُ الَّذي يُنتفَعُ به، أي: يُستَصلَحُ به، فالمنافعُ في هذه الآيةِ أُريدَ بها ما قابلَ منافعَ أكلِ لحومِها، في قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، مثلَ الانتفاعِ بأوبارِها وألبانِها وأثمانِها وأعواضِها في الدّيّات والمهور، وكذلك الَّذي في قوله: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾، فذِكْرُ المنافعِ بعد قولِه تعالى: ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾ تعميمٌ بعد تخصيصٍ، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: 18]، بعد قوله: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 18]، فذَكرَ هنا الشّائعَ المطروقَ عندَهم، ثمَّ ذَكرَ مثيلَه في الشُّيوع، وهو الأكلُ منها، ثمَّ عادَ إلى عمومِ المنافع، ثمَّ خصَّ من المنافعِ الأسفارَ، فإنَّ اشتدادَ الحاجةِ إلى الأنعامِ فيها تجعلُ الانتفاعَ برُكوبِها للسَّفرِ في محَلِّ الاهتمام[3].

نُكْتَةُ تتابعِ تقديمِ أشباهِ الجُمَل:

يُلحظ تقديمُ أشباهِ الجُمَل ﴿لَكُمُ﴾، ﴿مِنْهَا﴾، ﴿فِيهَا﴾، ﴿عَلَيْهَا﴾،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 216.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 437.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 216.

الاهتمامُ بالمُنعَمِ عليهم، والمنعمِ به، هو الغرضُ الأساس

في السّياق؛ إذ تقديمُ المجروراتِ في قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، وقولِه: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾؛ لرعايةِ الفاصلةِ مع الاهْتمامِ بما هو المقصودُ في السّياق، وتقديمُ ﴿لَكُمُ﴾ على الأنعامِ في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ – مع أنَّ المفعولَ أشدُّ اتِّصالًا بفعلِه من المجرورِ – ؛ لقصدِ الاهتمامِ بالمُنْعَمِ عليهم، وأمّا تقديمُ المَجرورَين في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾؛ فللاهتمامِ بالمُنعَمِ عليهم، والمُنعِمِ بها؛ لأنَّه الغرضُ الأوَّلُ من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾[1]، فإنَّ تلك ذُكرتْ في مَعرِضِ الامتنانِ تذكيرًا بالشُّكر، فنبَّه هنا على أنَّ تلكَ المِنَنَ آياتٌ دالَّةٌ على ما يجبُ للّهِ من الوحدانيَّةِ والقُدرةِ والحِكْمة.

نُكْتَةُ ما يفيد التَّذييل في قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾:

بيانُ إراءةِ الآيات في مُجمَلِ ما ذُكِر من النِّعم المتجلّيات

قولُه: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ مُفيدًا مفادَ التَّذييلِ، لما في قوله: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ من العموم؛ لأنَّ الجمعَ المعرَّفَ بالإضافةِ من صيَغ العموم، أي: يريكُم آياتِه في النِّعَمِ المذكوراتِ وغيرِها من كلِّ ما يدُلُّ على وجوبِ توحيدِه وتصديقِ رُسُلِه، ونَبذِ المُكابرةِ فيما يأتونَهم به من آياتِ صدقِهم[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بجملة ﴿وَيُرِيكُمْ﴾:

إرادةُ الآياتِ بصريَّةٌ مُتجدِّدةٌ، دالَّةٌ على وحدانيَّةِ الله وقدرته

الإراءةُ في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بصريَّةٌ، عبَّرَ بها عن العِلْمِ بصفاتِ اللّه؛ إذْ كان طريقُ ذلك العِلْمِ هو مشاهدة تلك الأحوالِ المختلفة، فمن تلك المشاهدةِ ينتقلُ العقلُ إلى الاستدلال، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ دلالةَ وجودِ الخالقِ ووحدانيَّتِه وقدرتِه، برهانيَّةٌ تنتهي إلى اليقينِ والضَّرورة، وقد جيءَ في جانبِ إرادةِ الآياتِ بالفعلِ المضارعِ لدلالتِه على التَّجدُّد؛ لأنَّ الإنسانَ كلَّما انتفعَ بشيءٍ من النِّعمِ؛ علمَ ما في ذلك من دلالةٍ على وحدانيَّةِ خالقِها وقدرتِه وحِكْمتِه[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 217.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 217، 218.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 218.

بيانُ مفعولي الرُّؤية في سياق الآية:

مفعولا الرُّؤيةِ في قولِه تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الضَّميرُ المتَّصلُ (الكافُ مع ميم الجمع)، و﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ المفعولُ به الثّاني[1]، أي: يُريكم دلائلَهُ الدّالَّةَ على كمالِ شؤونِه ﷻ[2].

نُكْتَةُ إضافةِ الآياتِ إلى ضميرِ العظَمة:

لمّا كانت آيةُ الأنعامِ عظيمةً؛ جعلَها ﷻ مشتملةً على آياتٍ كثيرةٍ، وأسندَها إلى ذاتِه القدسيَّةِ العظيمة، فعَظمتُها من عظَمةِ مَن خلقَها، وجعلَها مُهيَّئةً للعباد، إضافةً إلى آياتٍ أُخرى، أي: يُريكم في أيِّ لحظةٍ آياتِه الكثيرةَ الكبيرةَ فيها، وفي غيرِها من أنفُسِكم ومن الآفاق[3].

عظَمةُ الآياتِ من عظَمةِ خالقِها المبدعِ لها

فائدةُ عطفِ الآياتِ على ما تقدَّمَها:

في عطفِ الآياتِ في قولِه تعالى: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ إفادةٌ جليلةٌ، وهي أنَّ جميعَ الآياتِ صالحةٌ للدَّلالةِ على وحدانيَّةِ اللهِ وقدرتِه لا مَساغَ لادِّعاءِ خفائها، وأنَّهم لا عُذْرَ لهم في عدمِ الاستفادةِ من إحدى الآيات[4].

جميعُ آياتِ اللهِ دالَّةٌ على وحدانيَّتِه بوضوحٍ ساطعٍ، وبيانٍ ناصعٍ

معنَى الفاء، ودلالةُ إسقاطِ تاءِ التَّأنيث في قوله: ﴿فَأَىَّ﴾:

الفاءُ في قوله: ﴿فَأَىَّ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، أفادت التَّعقيبَ المباشرَ في إنكارِ شيءٍ من آياتِ الله، وهم يَرَوْنَها، ويشاهدونَها بأُمِّ أعيُنِهم، ودَلَّ إسقاطُ تاءِ التَّأنيث - كما هو المستفيض - على كثرةِ الآياتِ وعظَمتِها[5].

التَّعقيبُ المباشرُ على إنكارِ شيءٍ من آياتِ اللهِ الكثيرةِ العظيمة

بلاغةُ الاستفهامِ في قوله: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

قولُه تعالى: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ توبيخيٌّ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 524.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 343.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 124.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 218.
(5) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 439، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 17/ 124.

عليهم؛ من أجلِ إنكارِهم ما دلَّتْ عليه الآياتُ في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[1]، فإنَّ كلًّا منها منَ الظُّهورِ بحيثُ لا يكادُ يجترئُ على إنكارِها مَن له عقلٌ[2]، ولكنَّ النُّفوس اللَّئيمة تأبى إلّا أن تجحد الواضح الجليَّ، وكأنَّها تنكر ضوءَ الشَّمسِ في رابعة النّهار.

إنكارُ إنكارِهم ما دلَّتْ عليه الآياتُ دليلٌ على السُّخف والطَّيش

دلالةُ (أيَّ) وموقعُها النَّحْويُّ:

(أيَّ) في قوله تعالى: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ اسمُ استفهام، يُطلَبُ به تمييزُ شيءٍ عن مشارِكِه فيما يُضافُ إليه (أيّ)، وهو هنا مُستعمَلٌ في إنكارِ أن يكونَ شيءٌ من آياتِ اللهِ يُمكن أن يُنكَرَ دونَ غيرِه من الآيات، فيفيد أنَّ جميعَ الآياتِ صالحٌ للدلالة على وحدانية اللهِ وقدرته[3]، و(أيَّ) منصوبٌ بـ ﴿تُنكِرُونَ﴾، وقُدِّم وجوبًا؛ لأنَّ له صدرَ الكلام[4].

لا يمكنُ إنكارُ شيءٍ من آياتِ اللهِ؛ لكونها معجزة قاهرة

نُكْتَةُ إضافةِ الآياتِ إلى اسم الجلالة:

إضافةُ الآياتِ إلى الاسم الجليلِ في قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ لتربيةِ المهابةِ في النُّفوسِ، وتهويلِ إنكارِ الآيات، وهي من خَلْقِ اللهِ تعالى[5].

تربيةُ المهابةِ في القلوب بتعظيم علّام الغيوب

وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لزيادة التَّنويه بها، والإرشاد إلى إجادة النَّظر العقلي في دلائلها.

نُكْتَةُ الإظهارِ في موضعِ الإضمارِ:

إظهارُ اسمِ الجلالة في قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ دون أن يقول: (آياته) بعد ما تقدَّمَ قولُه: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ لزيادةِ التَّنويه بها والإرشادِ إلى إجادةِ النَّظرِ العقليِّ في دلائلِها، وأمّا كونُها جائيةً من

التَّنويهُ بعظَمةِ اللهِ في آياتِه تأكيدٌ لقدرته على كلِّ منكر كفور

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 218.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 286.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 218.
(4) السَّمين، الدُّرّ المصون: 9/ 501، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 343.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 343.

لدن اللّه، وكونُ إضافتها من الإضافة إلى ما هو في معنى الفاعل؛ فذلك أمر مُستفاد من إسناد فعل (يريكم) إلى ضميره تعالى[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿تُنكِرُونَ﴾:

إنكارُ الحقائقِ مع ظهورِها متجدِّدٌ باطِّراد لدى المعاندين

الإنكارُ ضدُّ العِرفان، يقال: أنكَرْتُ كذا، ونَكَرْتُ، وأصْلُه أن يَرِدَ على القلب ما لا يتصوَّرُه، وذلك ضربٌ من الجهل، وقد يُستعمَلُ ذلك فيما يُنكَرُ باللِّسان، وسببُ الإنكارِ باللِّسانِ هو الإنكارُ بالقلب، لكن ربَّما ينكرُ اللِّسانُ الشَّيءَ، وصورتُه في القلب حاصلة، ويكونُ في ذلك كاذبًا، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النَّحل: 83][2].

وهذا هو حالُ أولئك الَّذين جاء الاستفهامُ الإنكاريُّ التَّوبيخيُّ في حقِّهم في إنكارِ آياتِ اللّه، بل هم مستمرّون على إنكارِهم، وإنكارُهم متجدِّدٌ على ألسنتِهم كفرًا وعنادًا - كما عبَّرتْ عنه صيغةُ الفعلِ المضارع ﴿تُنكِرُونَ﴾ - مع الظُّهورِ وعدمِ الخفاءِ لتلك الآيات، بحيثُ لا يُنكرُها مُنكِرٌ، ولا يجحدُها جاحد[3].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

القلوبُ والصُّدور:

كلاهما جارحة، والصُّدور محلُّ القلب، فهي أعمُّ منه دلالةً

القَلْبُ: اسمٌ للجارحة، وسُمّيَ بذلك؛ لأنَّه وُضِعَ في موضعِه من الجَوْف مقلوبًا، والقلب عُمدَةُ البَدَن، وهو الجارحةُ الَّتي تتقلَّبُ بالأفكارِ والعُزوم، وقَلْبُ كلِّ شيءٍ: خالصُهُ، وقد يُعبَّرُ بالقلبِ عنِ العقل، وسُمّيتِ المُضغةُ الصَّنوبريَّة المودَعةُ في الجانبِ الأيسرِ من الصَّدرِ قلبًا؛ لكونِه أشرفَ الأعضاءِ، لما فيه من العقلِ على رأي، وسرعةِ الخواطرِ والتَّلوُّنِ في الأحوال، وهو أعظمُ الأشياءِ الموصوفةِ بالسَّعةِ من جانبِ الحقِّ، ومَعدنُ الرّوحِ الحيوانيِّ المتعلِّقِ للنَّفْسِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 218.
(2) الرّاغب، المفردات: (نكر).
(3) الشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 659.

الإنسانيِّ، ومنبعُ الشُّعَبِ المنبثَّةِ في أقطارِ البَدَنِ الإنساني، بل في سائرِ الحيوانات التّامَّةِ الخِلْقة[1].

والصَّدْرُ: الجارحةُ، وهو محلُّ الإسلام ومحلُّ الوَسواس، قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥﴾ [طه: 25]، والقلبُ في الصَّدْر، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحجّ: 46]، ثمَّ استُعيرَ لمقدَّمِ الشَّيءِ لصدرِ القناة، وصدرِ المجلسِ والكتابِ والكلام[2].

الإنكارُ والكَذِب:

الكذِبُ أعمُّ من الإنكار، وكلاهما خُلُقٌ مذمومٌ في الأعراف والشَّرائع

الإنكارُ: خِلافُ الاعتراف، وأصلُه أن يَرِدَ على القلبِ ما لا يتصوَّرُه، وذلك ضربٌ من الجهل، ونكرَ الشَّيءَ، وأنكره: لم يقبلْه قلبُه، ولم يعترفْ به لسانُه، كما في قوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النَّحل: 83][3].

والكَذِبُ: خلافُ الصِّدقِ، وتلخيصُه: أنَّه لا يبلُغُ نهايةَ الكلام في الصِّدق، والكذِبُ يُقالُ في المقالِ والفِعال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [النَّحل: 105]، وما جاءَ في القرآنِ ففي تكذيب الصّادق، قال تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [آل عمران: 11]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [فاطر: 25][4].

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 433، والكفويّ، الكُلِّيّات، ص: 703، والجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 178.
(2) الرّاغب، المفردات: (صدر)، والكفويّ، الكُلِّيّات، ص: 704.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (نكر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (كذب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"